

تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن/ الطبرسي (ت 548 هـ) مصنف و مدقق مرحلة

أولى

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } * { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } * { وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } * { وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } * { وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (1-5)

اللغة: أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلماً و يقال أبين من فلق الصبح و فرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام و الغاسق في اللغة المهاجم بضره و هو ها هنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها و الهوام من مكانها فيه يقال غسقت القرحة إذا جرى صديدها و منه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب و غسقت عينه سال دمعها. التقوب: الدخول وقب يقب و منه الوقبة النقرة لأنه يدخل فيها النفث شبيهة بالنفخ و أما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث والتفل قال الفرزدق:

هُمَا نَفْثَا فِي فِيٍّ مِنْ فَمَوِيَّهِمَا عَلَى النَّافِثِ الْعَاوِي أَشَدُّ رِجَامِ

الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها و إن لم يردها لنفسه فالحسد مذموم و الغبطة محمودة و هي أن يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه و لم يرد زوالها عنه.

النزول: قالوا إن لبيد بن أعصم اليهودي سحر رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله صلى الله عليه و سلم فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعدا أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجله فأخبراه بذلك و أنه في بئر دروان في جف طلعة تحت راعوفة و الجف قشر الطلع و الراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليها الماتح فانتبه رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعث علياً (ع) و الزبير و عمار

فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة و أخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأس و أسنان من مشطه و إذا فيه معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالأبر فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة و وجد رسول الله صلى الله عليه و سلم خفة فقام فكأنما أنشط من عقال و جعل جبرائيل (ع) يقول: " باسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك من حاسد و عين الله تعالى يشفيك ".

و رووا ذلك عن عائشة و ابن عباس و هذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله و قد أبى الله سبحانه ذلك في قوله

{ و قال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً }

[الفرقان: 8] أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا و لكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه و أطلع الله نبيه صلى الله عليه و سلم على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج و كان ذلك دلالة على صدقه و كيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم و لو قدروا على ذلك لقتلوه و قتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم له.

المعنى: { قل أعوذ برب الفلق } هذا أمر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه و سلم و المراد جميع أمته و معناه قل يا محمد اعتصم و امتنع برب الصبح و خالقه و مدبّره و مطلعته متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه { من شر ما خلق } من الجن و الإنس و سائر الحيوانات و إنما سمي الصبح فلماً لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه و هذا قول ابن عباس و جابر و الحسن و سعيد بن جبير و مجاهد و قتادة.

و قيل: الفلق الموالي لأهم ينفلقون بالخروج من أصلاب الآباء و أرحام الأمهات كما ينفلق الحب من النبات. و قيل: الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل جهنم من شدة حرّه عن السدي و رواه أبو حمزة الثمالي و علي بن إبراهيم في تفسيريهما و قوله { ما خلق { عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز أم يحصل منه الشر و تقديره من شرّ الأشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع و الهوام و الشياطين و غيرها.

{ و من شر غاسق إذا وقب { أي و من شر الليل إذا دخل بظلامه عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و علي هذا فيكون المراد من شرّ ما يحدث في الليل من الشر و المكروه كما يقال أعوذ من شر هذه البلدة و إنما اختصّ الليل بالذكر لأن الغالب أن الفساق يقدمون على الفساد بالليل وكذلك الهوام و السباع تؤذي فيه أكثر و أصل الفسق الجريان بالضرر. و قيل: إن معنى الفاسق كل هاجم بضره كائناً ما كان.

{ و من شرّ النفاثات في العقد { معناه و من شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد عن الحسن و قتادة و إنما أمر بالتعوذ من شر السحرة لإيهاهم أنهم يمرضون و يصحون و يفعلون شيئاً من النفع و الضرر و الخير و الشر و عامة الناس يصدّقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين و لأنهم يوهمون أنهم يخدمون الجن و يعلمون الغيب و ذلك فساد في الدين ظاهر فلأجل هذا الضرر في الدين أمر بالتعوذ من شرهم.

و قال أبو مسلم: النفاثات النساء. اللاتي يملن آراء الرجال و يصرفنهم عن مرادهم و يردّونهم إلى آرائهن لأن العزم و الرأي يعبرّ عنهما بالعقد فعبرّ عن حلّها بالنفث فإن العادة جرت أنّ من حلّ عقد نفث فيها.

{ و من شر حاسد إذا حسد } فإنه يحمل الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شره. و قيل: إنه أراد من شرّ نفس الحاسد و من شرّ عينه فإنه ربما أصاب بهما فعاب و ضر و قد جاء في الحديث: " **إن العين حق** " و قد مضى الكلام فيه و روي أن العضباء ناقة للنبي صلى الله عليه و سلم لم تكن تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابق بها فسبقها فشقّ ذلك على الصحابة فقال النبي صلى الله عليه و سلم: " **حقّ على الله عز و جل ألاّ يرفع شيئاً من الدنيا إلاّ وضعه** " و روى أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " **من رأى شيئاً يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله لم يضر شيئاً** " و روي أن النبي صلى الله عليه و سلم كان كثيراً ما يعوذ الحسن و الحسين (ع) بهاتين السورتين و قال بعضهم: إن الله سبحانه جمع الشرور في هذه السورة و ختمها بالحسد ليعلم أنه أخس الطبائع نعوذ بالله منه.